التحليل النقدي للخطاب التربوي في "كتاب إعادة الانتاج" لبيير بورديو

Critical analysis of the educational discourse in Pierre Bourdieu's "The Book of Reproduction"

ط د- سليمة ذياب [1،*]، د- بلال بوترعة [2]

[1] جامعة الوادي-الجزائر، dhiab-salima@univ-eloued.dz

[2] جامعة الوادي- الجزائر، bouterabelal@gmail.com

مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع،

تاريخ الإيداع: 2021/04/29 **تاريخ المراجعة**: 2021/05/18 **تاريخ النشر**: 2021/06/30

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية لرصد وتحليل اسهامات الخطاب التربوي في تشكل السلطة داخل المجتمع. وذلك لتوضيح ما يتوارى خلف الاختيارات اللغوية من أيديولوجيات تخدم مصالح السلطة وأهدافها في السيطرة على المتلقين وآرائهم وتوجيههم، ولقد تم استخدام عدة مناهج: الوصفي، التاريخي، المسح الاجتماعي. وقد تمثل الخطاب محل الدراسة في بعض النصوص من كتاب إعادة الإنتاج، بيير بورديو وجان-كلود باسرون، بطريقة العينة القصدية. وجمعت الباحثة البيانات عن طريق استمارة تحليل الخطاب. ولقد توصلت الدراسة أهمها أن السلطة عبارة عن ممارسة اجتماعية قهرية في الخطاب التربوي.

الكلمات المفتاحية: التحليل النقدي للخطاب ،الخطاب التربوي، الأصل الاجتماعي، التباين اللغوي، إعادة الانتاج.

Abstract *:This research paper aims to monitor and analyze the contributions of the educational discourse to the formation of power within society. This is to clarify the ideologies that are hidden behind linguistic choices that serve the interests of the authority and its objectives in controlling the recipients and their opinions and directing them. Several approaches have been used: descriptive, historical, and social survey. The discourse in question was represented in some texts from the book Reproduction, by Pierre Bourdieu and Jean-Claude Bassron, by means of the intentional sampling method. The researcher collected data through a speech analysis form. We have reached a set of conclusions: the most important of which is that power is a compulsive social practice in educational discourse.*

Key words*: Critical analysis of discourse, educational discourse, social origin, linguistic variation, and reproduction.*

* المؤلف المراسل .

تقديم:

إن من المواضيع التي ما زالت محط جدل داخل الخطاب التربوي مسألة السلطة للأهمية التي حظيت بها لدى عدد من مفكري في تخصصات متعددة، حيث تعتبر من أقوى الإشكالات التي تواجه الاجتماع الإنساني، ففي سياق الإهتمام بالتربية حاول العديد من الباحثين والمختصين تحديد ومناقشة العقبات التي تواجه المجتمعات وفي شتى المجالات بما فيها التربية، مدفوعين بالبحث عن أسباب التي أدت إلى تحول التربية من نسق فكري ثقافي اجتماعي قائم على رؤية حضارية مبنية على توجهات المجتمع وقيمه العليا إلى مجرد إجراءات وقرارات فوقية لا تمت للواقع بصلة. فهناك من تطرق في دراسته للتربية للجانب الثقافي والآخر للجانب الأخلاقي، بينما ردها البعض الآخر إلى الجوانب الاجتماعية. إلا أنهم جمعتهم فكرة واحدة أن المجتمع يعاني أساسا من أزمة تربوية تختلف حدتها من بلد إلى آخر.

وكان من الطبيعي أن يبدأ الباحثون في إطار الاتجاه النقدي الجديد توجيه نقد عنيف لأصحاب الاتجاه الوظيفي وفكرة التعليم كآلية لتحقيق المساواة والحراك الاجتماعي، ونادوا بأن المدارس لا تقوم بالوظائف التي أنشئت لأجلها، كتلقين القيم الاجتماعية التي يتفق عليها المجتمع. كما لا يمكن النظر إليها على أنها توفر تكافؤا الفرص عبر مبدأ الجدارة والاستحقاق. بل إن المدرسة على النقيض من كل ذلك- حسب أصحاب الاتجاه النقدي الجديد- تكرس بطريقة غير مباشرة التفاوت الطبقي الاجتماعي في المجتمعات الرأسمالية. وذلك بالحفاظ على الأوضاع الاجتماعية كما هي وإعطائها شرعنة للنظام الرأسمالي وتعيد إنتاجه ومن ثم تؤدي دورا أساسيا- بل سياسيا- في ترسيخ التراتبية الطبقية. ومن بين هؤلاء المفكرين النقدين الذين يؤمنونا بأن المدرسة مجال للصراع الثقافي والاجتماعي المفكر بيير بورديو.

تتأسس نقدية بيير بورديو وهو ممثل الماركسية المحدثة، وصاحب الاتجاه الراديكالي، على كونه قام باستثمار التراث نقدي المتنوع يتجول فيه بيير بورديو عبر حقول نقدية مختلفة ومتنوعة أثرت كلها في تكوينه الفلسفي والنقدي، والتي تتجلى أثارها بشكل جلي وواضح داخل النسق الفكري عند بيير بورديو. فهو يستحضر التراث النقدي الألماني الممتد من الوظيفية والبنائية والماركسية حتى مدرسة فرانكفورت النقدية، مما أسهم في غنى نظريته النقدية. حيث عمل بيير بورديو على تفكيك بنية العلاقة بين التمكنات اللغوية والمكتسبات القبلية (في التنشئة الأسرية) في تشكيل البناء الاجتماعي وإعادة إنتاج التراتبية الطبقية. حقا إن فكر بييربورديو غني بالمعرفة والنقد، إلا أن هذا لا يعني أن نقف عند هذا الفكر ولا نتخطاه، بل لابد من فهمه وتفكيكه وإعادة إنتاجه والبناء عليه. حتى لا يصبح ممارسة النقد عنصرا سلبيا في عملية التلقي، بل يكون عنصرا فعالا وقويا في عملية البحث.

إشكالية الدراسة:

مما سبق يمكننا طرح التساؤل الرئيس كالآتي:

- **تساؤلات الدراسة:**

التساؤل رئيس: التساؤل رئيس: ما هي أهم الاشكالات التي طرحها بورديو في كتابه إعادة الانتاج حول إنتاج السلطة في الخطاب التربوي ؟

تفرعت عنه عدة أسئلة بحثية:

-كيف يساهم التباين اللغوي في إعادة تشكيل بنية السلطة داخل الخطاب التربوي في كتاب إعادة الانتاج لبيير بورديو؟

- كيف يساهم الأصل الاجتماعي في إعادة تشكيل بنية السلطة داخل الخطاب التربوي في كتاب إعادة الانتاج لبيير بورديو؟

- **هدف الدراسة:**

وعلى هذا تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، حيث يتمثل الهدف الرئيس للدراسة: في رصد وتحليل اسهامات الخطاب التربوي في تشكل السلطة داخل المجتمع وبيان كيفية إعادة إنتاج الخطاب التربوي للهيمنة الاجتماعية والسياسية والثقافية. تفرعت منه أهداف فرعية:

- أردت الباحثة توظيف مقاربة التحليل النقدي للخطاب لأنه يدرس الاستعمال اللغوي في الخطاب، وما يتوارى خلف الاختيارات اللغوية من أيديولوجيات تخدم مصالح السلطة وأهدافها في السيطرة على المتلقين وآرائهم وتوجيه سلوكياتهم، بهدف الكشف عن حيل السلطة ووسائلها في تضليل المتلقين؛ ساعين بذلك إلى توعيتهم وتبصرتهم.

- إبراز الأطروحات الرئيسية والفرعية التي تحلل طبيعة العلاقة بين أشكال السلطة والخطاب التربوي في عينة الدراسة.

- الكشف عن الأطر المرجعية التي اعتمد عليها لتغطية قضية القوة والسلطة داخل الخطاب التربوي في عينة الدراسة.

- رصد الحجج والبراهين التي اعتمد عليها للتدليل على صحة أطروحاته نحو قضية القوة والسلطة داخل الخطاب التربوي في عينة الدراسة.

- **الدراسات السابقة:**

اعتمدت الدراسة على المصادر الأساسية التي اعتمدنا عليها في الجانب النظري فيمكن إجمالها في أربعة مصادر على جهة الاختصار، وهي:

📖 كتاب" **تحليل الخطاب- التحليل النصي في البحث الاجتماعي**"[1] ، تكمن أهمية الكتاب في أنه لا يقتصر على شرح مبادئ التحليل النقدي للخطاب ومصطلحاته، بل ويركز بشكل أساسي على كيفية تطبيق هذه المبادئ والمصطلحات في تحليل النصوص تحليلا يهتم بتفاصيلها البنائية وبعدها الاجتماعي أي بكونها ترتبط بعلاقات بين جماعات معينة وتصدر عن أفراد يتبوؤن مواقع معينة في المجتمع. يقدم الكتاب نماذج تحليلية يمكن الاقتداء بها واعتماد مبادئ التحليل فيها، ويعتمد في معالجته البعد الاجتماعي على نظريات فلسفية واجتماعية معاصرة، مثل: ميشال فوكو، وبيار بورديو، ويورغن هابرماس. فنورمان فاركلوف يرى أن اللغة جزء من الحياة الاجتماعية، وهذا الكتاب يعتبر مصدر أساسي لتخطي إهمال البعد الاجتماعي

لنصوص. كما يعتقد أن تحليل الخطاب يقوم على ثلاث مراحل رئيسية: تحليل الممارسة النصية، وتحليل الممارسة الخطابية، ثم تحليل الممارسة الاجتماعية. فهو يسعى لإبراز المقاربة الجدلية العلائقية بين النص والمجتمع.

دراسة بعنوان" **نسق السيطرة وآليتها عند بيار بورديو**"[2]: هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقات الضرورية، خاصة تلك التي ينتجها الهابيتوس، إلى جانب الحقل والعنف الرمزي. وكذا الحصول على رؤية بينة لمقاربات بورديو. تمحورت الدراسة حول إشكالية محورية: كيف يتصور بيار بورديو مداخل السيطرة وأنماطها للوقوف على نسق التسلط الاجتماعي؟ وما هي رؤيته للحلول التي يمكن التي تمكن الإنسان المعاصر من تجاوز هذا الوضع؟ وتفرعت عنها أبع مشكلات جزئية:

- ماهي المفاهيم الأساسية التي تعتمدها منظومة السيطرة لإعادة الانتاج اللامساواة الاجتماعية؟
- ماهي الإضافات التي قدمها فيما يخص تحليله لطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة على السيطرة؟
- هل التلفزيون أداة تثقيفية، أم هو مجرد مدخل من مداخل السيطرة؟
- ماهي حقيقة المنظومة التعليمية بالنسبة للمجتمع من وجهة نظر بورديو؟

وتنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية، اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي، والمقارن، طبيعية الدراسة كيفية. وتوصلت لنتائج التالية: إن الثقافة المدرسية هي ثقافة الطبقة المسيطرة، المدرسة تمارس عنف رمزي عن طريق الاختبارات الشفوية والكتابية، الشهادة لا تعكس الامتياز المدرسي بقدر ما تعكس امتياز اجتماعي.

✍ **دراسة بعنوان "السلطة والآليات الرمزية عند بيار بورديو**"[3]، تمحورت الدراسة حول إشكاليات محورية: كيف تمارس السلطة فعلها بصورة رمزية في المجالات السياسية والاجتماعية والدينية والتربوية؟ وما هي أساليبها وأدواتها الرمزية في الهيمنة؟ وما هي الآليات التي يقترحها بورديو لمقاومة هذه الهيمنة الرمزية المبثوثة في الجسد الاجتماعي؟ وإلى أي مدى يمكننا الاستفادة من تحليلات ومقترحات بورديو حول بنيات السلطوية المبثوثة في الأجهزة والمؤسسات والأنظمة الخطابية؟ لقد اتبع الباحثة ثلاث مناهج: المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، والمنهج النقدي.

ساعدت هذه الدراسات الباحثة في جوانب عديدة، منها وضع التصور العام للدراسة وكذلك تحديد مشكلة الدراسة وأهدافها، إضافة إلى الاطلاع على الجانب النظري لهذه الدراسات جعل الباحثة تتعرف على عدة مراجع مفيدة. جاءت الدراسات السابقة التي تناولت أفكار بيير بورديو بالتحليل؛ متنوعة من ناحية التخصص، مما أعطى الباحثة رصيدا معرفيا ساعدها في تحليل خطابات بيير بورديو التربوية.

- **مجتمع وعينة البحث:**

بعد أن أجرت الباحثة قراءات استكشافية في تخصص علم اجتماع التربية والتي تناولت الخطاب التعليمي (المدرسة بكافة عناصرها) بالتحليل، ولقاءات تضمنت توجيهات ومناقشات مع مجموعة من الخبراء والمختصين من أساتذة علم اجتماع؛ وقد تكون مجتمع الدراسة من جميع خطابات المفكر النقدي بيير بورديو.

حيث ارتأت الباحثة أن تقتصر على الدراسات التي أشارت إلى أهداف الدراسة، بمعنى إجراء دراسة متعمقة لعدد منتقي من النصوص الداخلة في نطاق الظاهرة المدروسة؛ والتي رأت أنها تحقق أهداف الدراسة ويتمثل الخطاب محل الدراسة في بعض النصوص من كتاب إعادة الإنتاج – في سبيل نظرية عامة في نسق التعليم، بيير بورديو وجان-كلود باسرون، تر: ماهر تريمش مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى،2007. ولقد تم اختيارها وفقاً للأسباب الآتية: فقد أشارت للخطاب التعليمي وفصلت فيه؛ الأمر الذي يساعد على الكشف عن أشكال السلطة في الخطاب التربوي.

- **مناهج البحث:**

تختلف المناهج باختلاف الدراسة؛ حيث أن المناهج التي تصلح للبحث عن حقيقة ظاهرة معينة تختلف باختلاف الموضوعات المطلوب بحثها من قبل الباحثين، والذين يمكن أن يتبعوا مناهج علمية مختلفة، و بشكل عام يمكن تعريف المنهج العلمي بأنه "عبارة عن أسلوب من أساليب التنظيم الفعالة لمجموعة من الأفكار المتنوعة والهادفة للكشف عن حقيقة تشكل هذه الظاهرة أو تلك . "[4]

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية "التي لا تقف عند حد جمع البيانات وإنما تمتد إلى تصنيف البيانات والحقائق التي تم تجميعها وتسجيلها و تفسيرها وتحليلها تحليلا شاملا واستخلاص نتائج ودلالات مفيدة منها" . وفي إطارها تم استخدام عدة مناهج هي: المسحي الاجتماعي، منهج التاريخي.

- **استمارة تحليل الخطاب :**

تأسيسا على أهداف الدراسة ومنهجها؛ وتكونت من عدة وحدات، نذكرها:

- **الأطروحة**: هي فكرة معينة أو معنى يريد منتج الخطاب توصيله للمتلقي بحيث يتم فهم الخطاب على الشكل الذي يريده منتج الخطاب. وهي مدخل مهم لتحليل الخطاب.
- **الأطر المرجعية**: ومن خلالها يتم رصد الإحالات المرجعية التي استند إليها الخطاب في عرضه للمفاهيم المحورية.
- **سير البرهنة**: ويقصد بتحليل مسار البرهنة رصد وتفسير الحجج والبراهين التي يستخدمها الكاتب أو المتحدث في إثبات أو نفي أو التشكيك في مقولات أو أفكار أو أراء أو معلومات أو وقائع.

1. الإطار المفاهيمي للدراسة:

إن البحث عن التعاريف المرتبطة بمفاهيم الدراسة عملية سهلة لا تتطلب مجهود كبير من الباحث، إنما الأمر الصعب هو فهم تلك التعاريف في سياق الدراسة الحالية خاصة في علم الاجتماع فهي محكومة بقوة الواقع وتغيراته .

فعملية تحديد المفاهيم والمصطلحات المعتمد عليها في الدراسة هي عبارة عن مرور إبستمولوجي؛ بحيث تقوم بنقل موضوع الدراسة من المستوى الفلسفي إلى المستوى العلمي. فتحديد المفاهيم في أي عمل علمي يعتبر نوع من تحديد الهوية لها. فنحن بهذا نقوم بتحرير المفهوم من الدلالات أخرى التي لا علاقة لها بالبحث، وذلك في سبيل الوصول إلى الأهداف التي حددتها الباحثة. فعلى هذا الأساس تم تحديد مفاهيم الدراسة الحالية كالتالي:

- **سوسيولجيا التربية(التربية المدرسية):**

يعد علم اجتماع التربية فرع من فروع علم الاجتماع يستعين بنظرية علم الاجتماع وأساليبه المنهجية في مجال التربية وما يرتبط بها من عمليات اجتماعية وتنظيمات تربوية، ومن يستند في تحليله للعمليات التربوية إلى مبادئ علم الاجتماع وأطره المنهجية. وبذلك فهو يشير إلى المسلك المنهجي والنظري لفهم الظاهرة التربوية، بل يسعى إلى تطبيق تلك الأسس والمبادئ على التربية، و إلى تحليل عملياتها وما يرتبط بها من تنظيمات و نظم الاتصال والتفاعل الدائر داخلها[5].

"هو العلم الذي يختص بدراسة الإنسان حينما يدخل في علاقة مع إنسان آخر في إطار تربوي يهدف إلى تكوين الخبرة، أو المعرفة، أو الثقافة، أو التعليم، أو التدريب، أي العلاقات التي تتم بين الأفراد في الإطار التربوي (التعليمي التعلمي)، سواء أكانت هذه العلاقات بين تلميذ وآخر، أو بين تلميذ ومعلم، ثم بين التلاميذ والمعلمين ككل، وبين كل من في المؤسسة، والنظام التربوي بشكل عام، وبين كل من في الإطار التربوي والمؤسسات الاجتماعية الأخرى في المجتمع الكبير ."[6]

إذا هو العلم الذي يدرس التربية من بعدها الاجتماعي وفقا لمناهج وفرضيات ونظريات علم الاجتماع.

التحليل النقدي للخطاب: التحليل النقدي للخطاب فرع معرفي مهم استقل عن تحليل الخطاب عام 1991، ليقوم بتحليل العلاقة الترابطية بين بنية الخطاب والعلاقات السلطوية داخل المجتمع.(...) ويتميز التحليل النقدي للخطاب بأنه يقيم جسرا بين مجالين: التحليل اللغوي للنص والعلوم الاجتماعية. فهذه المقاربة ترفض البنيوية المجردة وتجاهل السياقات الاجتماعية والسياسية، وتسعى إلى الاهتمام بالصراع والقوى والمعتقدات، والقمع والقهر لأن الخطاب ظاهرة اجتماعية، وكل القضايا الاجتماعية يتم إنتاجها وتداولها باللغة وفي اللغة، وأن الخطاب حقيقة تاريخية وفعل اجتماعي مؤثر، ويحقق غايات أيديولوجية، وهنا تأتي مهمة تحليل الخطاب في الوساطة بين النص والمجتمع، ولا تقتصر مهمته على الشرح والوصف بل تتجاوزهما إلى التفسير و التأويل7.

فكلما كانت هناك قوة أو سلطة نفرضها أو أيديولوجيا أو تجه سياسي كانت مقاربة التحليل النقدي للخطاب صالحة للتطبيق. ولا تختلف أدوات التحليل النقدي للخطاب عن أدوات تحليل الخطاب.

كما يجدر الإشارة أن التحليل النقدي للخطاب ليس هو تحليل الخطاب النقدي، لأن هذا الأخير يمثل إحدى النظريات النقدية الأدبية، بينما تجاوزت المقاربة التحليل النقدي للخطاب ذلك للمساءلة والتمحيص والتفنيد مع مراعاة عدم الانسياق وراء الخدع الأيديولوجية وما تمارسه والسلطة من تعتيم. وتكمن أهمية

دراسات الخطاب في البيئة العلمية في أنها تعمل على إيجاد معرفة لا تنحاز إلى فئة دون أخرى، بل تعمل على تظهير العلاقات التي تنظم قوى المجتمع.

التباين اللغوي:

"إنّ البناء اللغوي يخضع لنظام معرفي مرتبط بالمقدرة اللغوية للمتكلم المستعمل للغة ، الأمر الذي يفترض وجود ملكة لغوية تتصف بخصائص عالية تمكنه من رسم حدود تتماشى والمستويات التحليلية اللغوية . "8

الأصل الاجتماعي:

ينظر بازل برنشتاين إلى الأصل الاجتماعي بوصفه: " عاملا محددا للعلاقات اللغوية المحددة، وبعبارة أخرى تنطوي البنى الاجتماعية على أشكال لغوية تقوم بدورها في عملية التحويل الثقافي"9 . بمعنى الأصول الاجتماعية للفرد داخل المجتمع، التي يكتسب من خلالها أساسيات التكيف الاجتماعي، وفقا للبيئة والتربية والتنشئة الاجتماعية.

2. **اسهامات التباين اللغوي في تشكل السلطة في المجتمع:**

فالتربية المدرسية لا يمكن أن تحقق النجاح إلا إذا كان هناك تعسفا ثقافيا d'un arbitraire culturel في الأسرة كذلك، أي في الجماعة الأولية للفرد، حيث أنه كلما وجد توافق بين العمل البيداغوجي داخل الفصل، والعمل البيداغوجي داخل الأسرة، كلما كانت عملية إعادة إنتاج نفس الطبقة سهلة. بمعنى أن ما يدرس في المدرسة من مناهج لابد أن تجد لها دعم أسري، فهو يرى: " أن للطابع التقليدي الخاص بالنشاط العائلي، الذي يسعى عندما يتولى مهام التربية في السنوات الأولى إلى تحقيق النشاط الأكمل ويستطيع تبعا لذلك، أن يلعب، حتى في المجتمعات الحديثة، دور المحافظة على الموروث . "[10]

أما بالنسبة "لإستراتيجيات المدرسية (بوصفها أحد مكونات الرأسمال الثقافي) هي كذلك عامل قوي للزواج المتشابه في السوق الزواجية. وبالتالي، فهي تسهم بصفة غير مباشرة في إعادة الإنتاج الاجتماعي: الأزواج لا يتشابهون فقط بالنظر إلى أصلهم الاجتماعي وإنما يتشابهون أيضا في مستواهم الدراسي11 .

كذلك يرى بيربورديو أن المؤسسة التعليمية تمثل " المؤسسة المثلى التي تستثمر بكثافة ترسانة من الأشكال التقعيدية، فتؤثث بهالة من القواعد المعقدة والتي تعمل عبر طقوس مأسستها على إنتاج التفاوت الاجتماعي وإعادة إنتاجه. فالحقل المدرسي أكثر الحقول إبداعا للتفاوت الاجتماعي...فتقيم توزيعا لا متكافئا للجزاءات الثقافية تمنح رأس المال الثقافي للبعض بما أنهم الشرعيون لاكتسابه، وتحرم البعض الآخر لمهانة جدارتهم. إنها تستند إلى فعل تهجين تحول به اللا مساواة الاجتماعية وأسسها الثقافية القائمة على الشهائد العلمية إلى لا مساواة طبيعية ." 12

توضح المعطيات التي يقدمها الكتاب على شكل رسوم بيانية جداول احصائية، هيمنة أبناء الطبقات العليا على المدرسة الفرنسية.

فلقد ركز بيير بورديو في تحليله لبنية النظام الثقافي على المكتسبات اللغوية، فإن رأس مال اللغوي لا يكف عن مزاولة تأثيره؛ بمعنى أن التمكنات اللغوية تحدد مسار الفرد في الجامعة، والعمل خاصة الأكاديمي،

فكلما كانت التمكنات اللغوية جيدة تحصل الفرد على مكانة عالية، لأن من خلالها تزيد مكتسبات الفرد المعرفية والعالمية فيستفيد منها في إجراء اختبارات العمل أو أطوار الجامعة سواء كانت كتابة أو شفوية وهو يتوفر غالبا عند الطبقات المسيطرة التي وضعت المعرفة والمناهج الدراسية. حيث يقول " ونحن نعلم أن ما يؤدي إليه التأهيل الذي لا ينفصل عن الحياة اليومية ويتم خاصة من خلال امتلاك اللغة الأم، أو استخدام مفردات وعلاقات القرابة هو تشكل نوع من الاستعدادات المنطقية التي يمكن التحكم بها على صعيد الممارسة، ولما كانت الاستعدادات تختلف من حيث التعقيد ودرجة الصياغة الرمزية من جماعة إلى أخرى أو من طبقة إلى أخرى، فإنها تهيئ، بصورة متفاوتة، للتحكم الرمزي بالعمليات الضرورية للاحتجاج الرياضي أو لفك رموز أي عمل فني. "13

يلفت بيير بورديو الانتباه في تحليله لبنية النظام الثقافي لأهمية المكتسبات اللغوية، فإن رأس مال اللغوي لا يكف عن مزاولة تأثيره؛ بمعنى أن التمكنات اللغوية تحدد مسار الفرد في الجامعة، والعمل خاصة الأكاديمي، فكلما كانت التمكنات اللغوية جيدة تحصل الفرد على مكانة عالية، فهي تلعب دورا هاما في عملية الانتقاء.

إن التربية المدرسية تكرس القهر الثقافي ليتحول لعنف رمزي فهو يعتبر "أن أي نشاط تربوي هو موضوعيا نوع من العنف الرمزي، وذلك بوصفه فرض من قبل جهة متعسفة لتعسف ثقافي معين"14 . مما يشكل عند التلاميذ مقاومة ضد المناهج، والمعلمين، والإدارة مما ينتج عنه اتخاذ قرار استبعاد مبكر من المدارس سواء أكان ذاتيا أو إداريا.

"التلاميذ المنحدرون من أصول بورجوازية يدرسون الآداب القديمة ولغاتها منذ المرحلة الثانوية، بالإضافة إلى أن وسطهم العائلي يمكنهم من إتقان اللغة، وامتلاك استعدادات وعادات ثقافية ومهارات فكرية وشخصية مشروطة اجتماعيا، تجعلهم أكثر استعدادا للتفوق المدرسي، إضافة إلى الدور الذي تلعبه شروط الحياة الداخلية، كالمسكن والملبس ووسائل الترفيه والإمكانات المادية من الرفع من مستوى التفوق "15

أما المتعلمون المنحدرون من الطبقات الدنيا فإنهم يختارون " شعبا لا تؤدي إلى نجاح اجتماعي مضمون كشعب الآداب"16 . ويبحثون عن دراسات مختلفة خارج نطاق البرامج الدراسية لأن الثقافة الحرة تؤدِي إلى النجاح الجامعي في مثل تلك الشعب، أما أطفال البرجوازية الصغيرة " فهم مولعون بالقيم المدرسية في حين يتميز أعضاء الطبقات الوسطى عن الطبقات الدنيا بمعرفتهم الواسعة بالثقافة. "17

إذا اللغة ليست وسيلة تلقين للعلوم بقدر أنها وسيلة توجيه للسلطة والهيمنة التي تتضمن في الوسط الاجتماعي والثقافي، كما توصلت الدراسة إلى أن الخطاب التربوي الغربي يستحق الاهتمام والعناية من قبل الدارس الاجتماعي واللغوي لما تحدثه الترجمة من اختلالات.

وبهذا يمكن أن نفهم محاولة الفئات المسحوقة في أن تنجح في السلم التعليمي و أن تعيد تربية ذاتها طبقا لثقافة الاستبداد، وبالتالي أن تكدس ما أمكن من " الرأسمال الثقافي" المشروع. ويعتبر هذا منطقيا في الوقت الذي ترتبط أنواع الثقافة بقوانين السوق. فالثقافة الناتجة عن الأعمال التربوية وعبرها عن التعسف الثقافي تعتبر رأسمال ثقافي معترف به وتعطى له قيمة اقتصادية ورمزية أعلى خصوصا في سوق العمل، هكذا

يمكن أن نتفق أنه". لابد أن نعترف أن هناك ضغطا بمنتهى القوة يدفع باتجاه معاودة إنتاج " التعسف الثقافي" الذي يتمتع بأعلى قيمة بصفته رأسمال ثقافي. وهكذا تحافظ هذه المعاودة على نظام معين و تصونه هو النظام الذي تجد فيه الصفوة أن من أسهل الأمور عليها إعطاء نفسها صفة الديمومة "18.

يمكننا استجلاء الفكرة الأساسية في التحليلات التي قمنا بها وهي أن الثقافة وسط يتم فيه إعادة إنتاج الطبقة الاجتماعية السائدة وإعطاءها الشرعية، وذلك من خلال التربية المدرسة باعتبارها فضاء للتنافس والتطاحن والصراع واللامساواة الاجتماعية والطبقية.

3. **اسهامات الأصل الاجتماعي في تشكل السلطة في المجتمع:**

إن المجتمع – كما يراه بورديو- "يشكل وحدة اجتماعية وظيفية، ومن ثم فإن نمط التضامن الذي يحافظ على وحدة المجتمع يخفي نسقا من علاقات القوة والهيمنة التي توضع في خدمة الطبقة السائدة. وفي هذا المستوى من التضامن الاجتماعي يعمل أصحاب الامتياز على فرض هيمنتهم لكونهم يمتلكون الوسائل التي تمكنهم من الاحتفاظ بالمناطق العليا في الفضاء الاجتماعي في المجتمع." والنظام الاجتماعي حسب بورديو "يستند في جوهره إلى معطيات النظام المدرسي، وهذا يعني- من ثم- أن النظام المدرسي يسهم بصورة مباشرة في عملية إنتاج النظام الاجتماعي على نحو كلي. "19

تحدث بيير بورديو عن العلاقة بين البيئة الأسرية كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية والمؤسسة التعليمية؛ مشيرا إلى دور الأسرة (الوالدين) في دعم الأنشطة الطلابية والمدرسية، والعمل على تعميق قدراتهم الثقافية والأدبية التي يكتسبونها من الأسرة والمدرسة؛ الأمر الذي يجعل هؤلاء الطلاب دائمي الحفاظ على رأسمالهم الثقافي، وما اكتسبوه من خبرات طيلة فترات الدراسة المختلفة، بالإضافة إلى نمط المنح الدراسية التي تسهم إسهاما كبيرا من الناحية النظرية والتجريبية للطلاب؛ مؤكدا أن ذلك قد يختلف باختلاف الأسر والبيئات الاجتماعية ونمط الطبقات الاجتماعية التي ينتمون إليها، مع إضفاء الطابع المؤسسي على معايير التعليم المكتسبة طيلة مراحل التعليم وما بعدها 20.

نستنتج مما ذكر سابقا أن العلاقات التي تدور داخل الوسط التربوي مسؤولة بالدرجة الأولى على تشكل الرأسمال الاجتماعي الذي له الأثر الكبير في نشأة المجتمعات، لذلك فهي ليست مجرد أثر ناتج عن إضافة أشخاص وأفكار وأشياء إلى مجتمع معين. والعمل بروح الفريق الواحد، يمثل حاصل مؤكد لمجموعة قيم الخير التي تزرع في شخصية الفرد، وهكذا يستدعي البناء المجتمعي تحركا متواصلا ومبرمجا، لبناء الشخصية السليمة منذ ولادتها، عبر الحرص والعمل المنظم لزرع قيم الخير، في شخصية الانسان منذ بدايات النشأة والنمو، لأنها ستنمو مع الانسان وتكبر معه، وتصبح جزءا لا يتجزأ من تكوينه المادي والفكري في وقت واحد، فيحصل المجتمع على فرد منتِج ذا شخصية عملية، مستعدة دائما للعمل بمنهج الجماعة والانخراط معها بعيدا عن الأنانية التي تقتل الموهبة. ولا يتم ذلك إلا وفقا لتربية سليمة منظمة واضحة الأهداف.

كما يمثل الرأسمال الاجتماعي عند بيير بورديو أحد العوامل الأساسية التي تزيد من ممارسة القوة والسلطة، فهو أداة تكريس اللاعدالة الاجتماعية بين الفاعلين الاجتماعين؛ مما يخلق بينهم نسق صراعي من أجل المصالح الفردية. ويعرف بيير بورديو الرأسمال الاجتماعي" مجموعة من الموارد الحالية والكامنة المرتبطة

بشبكة دائمة من العلاقات الاجتماعية أو بعبارة أخرى الانتماء إلى جماعة لا ترتبط في ما بينها إلا بالممتلكات الجماعية، ولكن موحدة من خلال روابط دائمة ونافعة. "21

يفهم من هذا أن ثقافة المدرسة تحمل خصوصية الطبقة المهيمنة، مما يجعل الخطاب التعليمي يعيد إعادة انتاج البنى الاجتماعية والثقافية بجميع سماتها وخصائصها.

فقد عمل بيير بورديو من خلال تحليله السوسيولوجي إلى الوصول إلى مبدأ أساسي هو التفاوت في النجاح الدراسي للأطفال المنحدرين من طبقات اجتماعية مختلفة، فالأصل الاجتماعي يعتبر المميز الأساسي الذي يتحكم في النجاح المدرسي. فبخصوص الرأسمال اللساني مثلا، نلاحظ عدم تكافؤ بين أفراد الطبقات العليا والدنيا مما يزيد من حظوظ أفراد الطبقات العليا في النجاح الدراسي، فالمتعلمون الذين يريدون ولوج التعليم العالي يخضعون لانتقاء صارم وفق معيار القدرة اللسانية ومعايير تصحيح المشرفين بخصوص المعرفة النظرية و التطبيقية التي تتطلبها المادة التعليمية، وهنا يقول بورديو أن:

"التوزيع اللامتكافئ للرأسمال اللساني ذو المردودية النسبية، بين مختلف الطبقات الاجتماعية يشكل إحدى التوسطات الخفية والتي تتأسس خلالها العلاقة بين الأصل الاجتماعي والنجاح المدرسي. "22

ومنه تتجلى وظيفة المدرسة الأساسية بكل نظامها في إعادة إنتاج تقسيم الطبقي للمجتمع، وفي نفس الوقت الأداة الفاعلة في إنتاج المجتمع على نحو طبقي إن ثقافة المدرسة تحمل خصوصية الطبقة المهيمنة، مما يجعل التربية المدرسية تعيد انتاج البنى الاجتماعية والثقافية بجميع سماتها وخصائصها. إن قوة التعسف الذي تمارسه الطبقات المهيمنة تضطر الطبقات المسحوقة إلى الاستسلام لما فرض عليها، ولا تجد بدا من الاعتراف، عن اقتناع أو دونه، بشرعية الثقافة السائدة و بالتالي شرعية التعسف الثقافي، وكنتيجة لذلك اعتبار أن ثقافتهم غير شرعية لذا يجب عدم التفكير فيها، والتمسك بما هو أرقى وأضمن ألا وهو الثقافة السائدة.

4. النتائج العامة للدراسة وتفسيرها:

في ضوء كل ما سبق، توصلت الدراسة إلى نتائج محددة فيما يتصل بتحليلها لخطاب التربوي، أهمها:

- إن الفكرة الجوهرية للكتاب، تتركز في اعتبار أن التعليم يعكس التمايزات الطبقية الموجودة داخل المجتمع الفرنسي. وبالتالي فالمدرسة هي انعكاس للتراتبية في المجتمع من هيمنة الطبقة البورجوازية على الانتاج المادي عبر وسائل الانتاج وهيمنتها كذلك على الانتاج الرمزي و المعرفي والذي تعتبر المدرسة أهم مؤسساته.

- توضح المعطيات التي يقدمها الكتاب على شكل رسوم بيانية جداول احصائية، هيمنة أبناء الطبقات العليا على المدرسة الفرنسية. وقد استشهد على ذلك في ص ص 192-216.

- هناك ارتباط واضح، بين النجاح المدرسي والتباين الثقافي واللغوي الذي يملكه التلميذ، واللذين يرتبطان بالدور الاجتماعي المنوط بالفرد.

- إن اللغة ليست وسيلة تلقين للعلوم بقدر أنها وسيلة توجيه للسلطة والهيمنة التي تتضمن في الوسط الاجتماعي والثقافي، كما توصلت الدراسة إلى أن الخطاب التربوي الغربي يستحق الاهتمام والعناية من قبل الدارس الاجتماعي واللغوي لما تحدثه الترجمة من اختلالات.

- يمكننا استجلاء الفكرة الأساسية في التحليلات التي قمنا بها وهي أن الثقافة وسط يتم فيه إعادة إنتاج الطبقة الاجتماعية السائدة وإعطاءها الشرعية، وذلك من خلال التربية المدرسة باعتبارها فضاء للتنافس والتطاحن والصراع واللامساواة الاجتماعية والطبقية.

- توصلنا إلى فرضية أساسية هي أن مخرجات النظام التعليمي ماهي إلا نتاج لتشكيلة اجتماعية معقدة أو شديدة التعقيد.

- لفت بيير بورديو الانتباه في تحليله لبنية النظام الثقافي لأهمية المكتسبات اللغوية، فإن رأس مال اللغوي لا يكف عن مزاولة تأثيره؛ بمعنى أن التمكنات اللغوية تحدد مسار الفرد في الجامعة، والعمل خاصة الأكاديمي، فكلما كانت التمكنات اللغوية جيدة تحصل الفرد على مكانة عالية، فهي تلعب دورا هاما في عملية الانتقاء.

- كشف بيير بورديو عن الممارسات الاجتماعية والثقافية التي تمارسها سلطة الدولة والمجتمع على الفئة المثقفة وتوضيح كيف يتم ترتيبها بين الطبقات الاجتماعية و تهميش أبناء الطبقة الفلاحية والعمالية رمزيا بعد أن همشت ماديا.

- أن التربية المدرسية تكرس القهر الثقافي ليتحول لعنف رمزي، مما يشكل عند التلاميذ مقاومة ضد المناهج، والمعلمين، والإدارة مما ينتج عنه اتخاذ قرار استبعاد مبكر من المدارس سواء أكان ذاتيا أو إداريا.

- أنه ليست هناك سلطة غير مهتمة بالتربية والثقافة، حتى ولو كانت تقهر المثقفين وترتبهم في السلم الاجتماعي ترتيبا متوسط أو متدني.

- إن ثقافة المدرسة تحمل خصوصية الطبقة المهيمنة، مما يجعل الخطاب التعليمي يعيد إعادة انتاج البنى الاجتماعية والثقافية بجميع سماتها وخصائصها.

الخاتمة:

مما سبق يمكننا القول أن بتحليينا أشكال السلطة في الخطاب التربوي توصلنا إلى أن السلطة عبارة عن ممارسة اجتماعية قهرية في الخطاب التربوي؛ و أن العلاقات التي تدور داخل الوسط التربوي مسؤولة بالدرجة الأولى على تشكل الرأسمال الاجتماعي الذي له الأثر الكبير في نشأة المجتمعات، لذلك فهي ليست مجرد أثر ناتج عن إضافة أشخاص وأفكار وأشياء إلى مجتمع معين. والعمل بروح الفريق الواحد، يمثل حاصل مؤكد لمجموعة قيم الخير التي تزرع في شخصية الفرد.

لذا فإن السلطة المرغوب فيها هي سلطة العاطفة القائمة على مبدأ الاحترام والتقدير على أساس أن لا يطغى عليها جانب الذاتية والتداخل بين شخص المربي وما عليه. فمن خلال التجارب أن الأستاذ أو المربي الذي ينال حب الأطفال وتقديرهم هو الوحيد الذي يستطيع أن يؤثر فيهم ويستطيع أن يعمل على تطوير ذكائه وتوجيهه بالسلطة التي يراها مناسبة له. و السلطة التي يجب أن تنبذ وتحارب هي تلك التي تبثر الحب وتحوله

مقتاً وعداء تترتب عنه عدة أعراض وخيمة على الطفل أهمها العقد النفسية لأننا نكون قد قتلنا كرامة الطفل ووجوده كذات وشخصية متواجدة ضمن محيط قابل للتأثر بأقل القليل من الأحداث أبسطها الإهمال والتقصير.

هوامش وإحالات المقال

1 نورمان فاركلوف (2009)، تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة، مراجعة: نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت.

2 بوعلام معطر،(2018-2019)، نسق السيطرة وآلياتها عند بيار بورديو، أطروحة دكتوراه علوم في الفلسفة، جامعة الحاج لخضر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، باتنة1، الجزائر.

3 كلثوم بن عبد الرحمان، (2019-2020)، بعنوان " السلطة والآليات الرمزية عند بيار بورديو"، أطروحة دكتوراه ، تخصص فلسفة معاصرة مذاهب ومناهج، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الحاج لخضر – باتنة1- الجزائر.

[4] عثمان محمد غنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي –النظرية و التطبيق-، دار صفاء للنشر و التوزيع، طبعة01، عمان،2000، ص 33.

[5] السيد علي شتا –فادية عمر الجولاني (1997)، علم الاجتماع التربوي، مكتبة الاشعاع الفنية، مصر، ص 29.

[6] جميل حمدواي، سوسيولجيا التربية (2018)، منشورات حمداوي الثقافية، الطبعة الأولى، تطوان، المغرب، ص ص 19- 20.

[7] عدنان ثامر، لسانيات النص وتحليل الخطاب – مفاهيم و أبعاد- ، مقال، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، ص08. على الرابط: dspace.univ-msila.dz › xmlui › handle، تم الاطلاع بتاريخ: 2020/10/10.

[8]سيدي محمد غيثري (ماي2005)، التباين اللغوي بين الأصول والجذور، الأثر مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد ماي الرابع، ص 205.

[9]علي أسعد وطفة، اللغة والانتماء الاجتماعي، رؤية في طروحات بازل برنشتاين، مركز الرافدين للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الكويت، يناير2013،http://watfa.net، بتاريخ: 2019/03/25، الساعة:14:03.

[10] بيير بورديو(1994)، العنف الرمزي، بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، ترجمة: نظير جاهل، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى، بيروت، ص 45.

[11] بوبكر بوخريسة(2017)، سوسيولوجيا بيير بورديو، تحليل في النظرية والمفاهيم والمنهج، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 158.

[12] بيير بورديو وجان- كلود باسرون(2007)، إعادة الإنتاج- في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم-، تر: ماهر تريمش، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، ص ص 70-71.

[13] بيير بورديو(1994)، العنف الرمزي، المرجع السابق، ص 60.

[14] بيير بورديو(1994)، العنف الرمزي، المرجع نفسه، ص 07.

[15] Pierre Bourdieu et Jean Claude Passeron (1970), la reproduction, éléments pour une théorie du système d'enseignement, édition de minuit, Éditeur Les Éditions de Minuit .Collection Sens Commun; p11

[16] Pierre Bourdieu et Jean Claude Passeron(1970), la reproduction;p23.

[17] Pierre Bourdieu et Jean Claude Passeron(1970), la reproduction;p38.

[18] Pierre Bourdieu et Jean Claude Passeron(1970), la reproduction;p151.

[19]علي أسعد وطفة، الأداء الأيديولوجي للمدرسة في منظور بيير بورديو، مجلة النقد والتنوير، مجلة النقد والتنوير، على موقع النقد وتنوير الدراسات الإنسانية، عبر الرابط: http://watfa.net، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2019/03/16.

[20] حوته حسين سعد حسين(2015)، التعليم وتشكيل رأس المال الثقافي، بحث ميداني مقارن، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بني سويف، ص 694.

[21]رزيقة مجوب (02،نوفبر)، الرأسمال الاجتماعي، قراءة في أدبيات العلوم الاجتماعية، مقال بمجلة آفاق لعلم الاجتماع 02،نوفبر، (ب-س)، جامعة الجزائر، ص 07.

22 Pierre Bourdieu et Jean Claude Passeron(1970), la reproduction;p144

قائمة المصادر والمراجع:

1. نورمان فاركلوف (2009)، تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة، مراجعة: نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت.
2. بوعلام معطر،(2018-2019)، نسق السيطرة وآلياتها عند بيار بورديو، أطروحة دكتوراه علوم في الفلسفة، جامعة الحاج لخضر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، باتنة1، الجزائر.
3. كلثوم بن عبد الرحمان، (2019-2020)، بعنوان " السلطة والآليات الرمزية عند بيار بورديو"، أطروحة دكتوراه ، تخصص فلسفة معاصرة مذاهب ومناهج، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الحاج لخضر – باتنة1- الجزائر.
4. عثمان محمد غنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي –النظرية والتطبيق-، دار صفاء للنشر والتوزيع، طبعة01، عمان،2000، ص 33.
5. السيد علي شتا –فادية عمر الجولاني (1997)، علم الاجتماع التربوي، مكتبة الاشعاع الفنية، مصر.
6. جميل حمدواي، سوسيولجيا التربية (2018)، منشورات حمداوي الثقافية، الطبعة الأولى، تطوان، المغرب، ص ص 19- 20.
7. عدنان ثامر، لسانيات النص وتحليل الخطاب – مفاهيم وأبعاد- ، مقال، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، ص08. على الرابط dspace.univ-msila.dz › xmlui › handle :، تم الاطلاع بتاريخ: 2020/10/10.
8. سيدي محمد غيثري (ماي2005)، التباين اللغوي بين الأصول والجذور، الأثر مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد ماي الرابع.
9. علي أسعد وطفة، اللغة والانتماء الاجتماعي، رؤية في طروحات بازل برنشتاين، مركز الرافدين للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الكويت، يناير2013، http://watfa.net، بتاريخ: 2019/03/25، الساعة:14:03.
10. بيير بورديو(1994)، العنف الرمزي، بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، ترجمة: نظير جاهل، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى، بيروت.
11. بوبكر بوخريسة(2017)، سوسيولوجيا بيير بورديو، تحليل في النظرية والمفاهيم والمنهج، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 158.
12. بيير بورديو وجان- كلود باسرون(2007)، إعادة الإنتاج- في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم-، تر: ماهر تريمش، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت.
13. Pierre Bourdieu et Jean Claude Passeron (1970), la reproduction, éléments pour une théorie du système d'enseignement, édition de minuit, Éditeur Les Éditions de Minuit .Collection Sens Commun.
14. علي أسعد وطفة، الأداء الأيديولوجي للمدرسة في منظور بيير بورديو، مجلة النقد والتنوير، مجلة النقد والتنوير، على موقع النقد وتنوير الدراسات الإنسانية، عبر الرابط http://watfa.net :، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2019/03/16.
15. حوته حسين سعد حسين(2015)، التعليم وتشكيل رأس المال الثقافي، بحث ميداني مقارن، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بني سويف.
16. رزيقة مجوب (02،نوفبر)، الرأسمال الاجتماعي، قراءة في أدبيات العلوم الاجتماعية، مقال بمجلة آفاق لعلم الاجتماع 02،نوفبر، (ب-س)، جامعة الجزائر.